هوذا الانسان !

أصبح الرب يسوع المسيح إنساناً ، إلى جانب استمرار كونه الله . وأصبح ما سبق التنبؤ به ووُعد به في العهد القديم حقيقة تاريخية . لقد اتخذ طبيعة بشرية، وحمل صورة البشر ، وأُظهر كإنسان ، متخذاً اسماً بشرياً - يسوع الناصري .

كتب " Louis Berkhof " لويس بيركهوف أنه في سياق إحترامهم للاهوته ، نسى الناس أحيانا المسيح الإنسان . ومن الأهمية بمكان ؛ أن نُبقى على حقيقة وتمام بشرية يسوع في أذهاننا ، وذلك بقبول حقيقة نموه الجسدي ومحدودية جسده . فلا يجب للتأكيد على جلال لاهوته وبهائه أن يطغيا للدرجة التي فيها تُطمس حقيقة بشريته .

والآن نحن بصدد بحث حقيقة وتمام بشرية يسوع في الصفحات التالية .

**** الميلاد العذراوي :***

لقد دخل ابن الله الازلي إلى الجنس البشري من خلال رحم العذراء مريم. " لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله ابنه ، مولوداً من امرأة " (غلاطية 4 : 4) .

ليس ليسوع المسيح أب أرضي ، فقد حُبل به بقوة الروح القدس في رحم العذراء مريم (متى 1 : 20) . فقد حلَّ عليها الروح القدس وظلَّلتها قوة العلي. لذلك كان وليدها طفلا قدوساً هو ابن الله (لوقا 1 : 35) .

وها هو حَبَل العذراء الذي سبق التنبؤ به بواسطة اشعياء، قد تم أخيراً ! (اشعياء 7 : 14 ، متى 1 : 23) . هنا تم تحقيق الوعود التي تكررت مراراً كثيرة بمجيء الله نفسه إلى شعبه ليخلِّصهم .

وجاء عمل الروح المعجزي في رحم مريم العذراء ؛ دون الحاجة لدور رجل ؛ متناغماً مع حقيقة أن الطفل المولود منها هو ابن الله الأزلي . فقوة الروح القدس قدَّست طبيعة المسيح البشرية منذ البداية ، وبذلك حفظتها طاهرة من دنس الخطية التي تُلوث كل كائن آخر من الجنس البشري . ولا يمكننا الكلام عن الكيفية التي أتم بها الروح القدس كل هذا . ولا أحد يعرف بالتحديد كيف تنتقل الخطية من الوالد إلى المولود . لكن يجب أن نلاحظ أن تقديس الروح القدس ؛ لم يتم فقط وقت الحبل به ، بل استمر طوال حياته (يوحنا 3 : 34، عبرانيين9 : 14) .

كان ميلاد المسيح من امرأة ؛ هو الإتمام المذهل لأول وعد عن المسِّيا في سفر التكوين ، وعن اتخاذه طبيعة بشرية حقيقية . وإذ حُبل به من الروح القدس ، أظهر وأكد أن طبيعته إلهية ؛ وأن ميلاده لم يكن بدايةً لوجوده ، أي أن ميلاده لم ينتقص منه شيئا ، ففي الفصل الثاني من هذا الكتاب ؛ رأينا أنه ابن الله المساوي للآب قبل التجسد وبعده . لكن التجسد أضاف وأصبح على ما لم يكن عليه من قبل، لقد اتخذ لنفسه طبيعة بشرية ودخل الجنس البشري، إلا أنه لم يشترك في دنسه وتلوثه بالخطية .

**** انه بالحقيقة انسان :***

لا يجب أن نجرَّب بالظن بأنه بسبب ميلاد المسيح الخارق للطبيعة ، فإن طبيعته البشرية لم تكن حقيقية تماماً . ففيما عدا الخطية ، كان يسوع كواحد منا . " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما .. لأنه حقاً ليس يُمسك الملائكة ، بل يُمسك نسل إبراهيم . من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء ..... " (عبرانيين 2 : 14 - 17). إن نصوص الإنجيل ترجع بنا للوراء ، كما كانت ، لتفهمنا أنه كما أن ربنا يسوع المسيح كان الله تماماً ، كما رأينا فيما سبق بحثه ، فإنه كانت له أيضا طبيعة بشرية كاملة . حقا كان أكثر من إنسان ، لكن طبيعته البشرية كانت حقيقية . كانت له نفس طبيعتنا لم يكن هناك ما هو غير حقيقي أو خيالي أو ظاهري فقط . لكننا نقولها ثانيةً انه أصبح واحداً منا .

فقد وُلد طفل لفتاة من الجليل - هذا الطفل ؛ سجَّل البشيرون سلسلة نسبه بكل حرص في (متى 1 : 1 - 17 ، لوقا 3 : 23 - 28، أعمال 13 : 23 انظر أيضا يوحنا 7 : 27) .

وقمطته أمه ووضعته في مذود (لوقا 2 : 7). هذا كل ما رآه الرعاة الذين أتوا لزيارته ، مع أنه أُعلن لهم عن طريق الملائكة بأن هذا الطفل " مخلص هو المسيح الرب " (لوقا 2 : 8 - 20).

لقد كان ختان الطفل في اليوم الثامن لميلاده حقيقيا كما كانت تقتضي الشريعة ، وكان تقديمه للرب في الهيكل حقيقيا أيضا ، حيث أخذه سمعان الشيخ على ذراعيه وبارك الله (لوقا 2 : 21 - 35) . وهكذا لم نر شيئاً غير عادي في هذا الطفل ، حينما زاره المجوس الآتين من المشرق ، وحين أخذه أبواه إلى مصر هرباً من بطش هيرودس الملك (متى 2 : 1 - 23) ، ثم حين شب وكبر في بيت يوسف النجار في الناصرة . وبدأ يكبر وينمو كأي صبي آخر في القرية - ولكن يبقي شيء مختلف يستلفت الأنظار إليه : " وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ، ممتلئاً حكمة ، وكانت نعمة الله عليه " (لوقا 2 : 40) .

كان صبيًّا حقيقيا ذاك الذي سافر إلى أورشليم وكانت له اثنتا عَشْرَةَ سنة، وسبَّب قلق يوسف ومريم لغيابه عن نظرهم ، ثم وُجد بعد ثلاثة أيام في الهيكل يستمع إلى المعلّمين ويسألهم . حقا كان مدركاً أن أباه الوحيد هو الله ، ولكن هذا لم يقلّل بأية حال حقيقة رجوعه إلى بيته بالناصرة ، وخضوعه للسلطة الأبوية هناك ، وحقيقة أنه " كان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة ، عند الله والناس " (لوقا 2 : 41 - 52) . ولأنه كان إنسانا كباقي أفراد أسرته ، فان سكّان الناصرة المتشكّكين - فيما بعد - كانوا يتساءلون عن المعلم صانع المعجزات قائلين " أليس هذا هو النجَّار ابن مريم ، وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا ؟ " (مرقس 6 : 3) .

إن الذي عمَّده يوحنا المعمدان في نهر الأردن كان إنسانا حقيقياً ، بالرغم من الأحداث الكثيرة التي صاحبت هذا الحدث والتي شهدت أن المسيح كان ابن الله الأزلي (يوحنا 1 : 30 ، متى 3 : 13 - 17) .

لقد كانت معمودية المسيح نقطة الانطلاق لبداية خدمته الجهارية ، التي قوبلت بمشاعر مختلطة ، فمن جهة أولئك الذين عرفوه جيداً ، قوبلت بعداوة شديدة، وعندما

أدركوا أنه جمع من حوله عددا من التلاميذ ، حاولوا منعه من العمل كمعلم متجوِّل. لقد ظنوا في عمله هذا أنه تهور وأكَّدوا أنه " مختل " (مرقس3 : 21) . هل كان من الممكن أن يفعلوا هذا ويقولوا ما قالوا لو لم يكونوا واثقين تماماً أن يسوع الناصري هذا إنما هو إنسان مثلهم ، هل كان يمكن لأعدائه أن يدعونه - بكل حقدهم - أنه " أكول وشرِّيب خمر " لو لم يكونوا واثقين كل الثقة من كونه إنسانا ؟ (متى 11 : 19) .

**** إدراك يسوع لذاته :***

لم يكن الناس فقط هم الذين أدركوا طبيعة يسوع البشرية ، بل هو أيضا كان مدركا لنفسه . سبق وأبرزنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب أن يسوع كان واعياً تماماً للاهوته . ولاحظنا منذ قليل - مرة أخرى - انه وهو لايزال صبياً صغيراً علم أن الله هو أبوه الوحيد . وكان يحمل إدراكاً مماثلاً لطبيعته البشرية . وسار طوال حياته على الأرض وهو يدرك تماماً أن أباه المتفرد هو أعظم منه (يوحنا 14 : 28) .

كثيراً ما أشار يسوع إلى نفسه على أنه إنسان ، وكان أبعد ما يكون أن يقاوم هذا الفكر ، لأنه كان مدركاً لتلك الحقيقة دائماً . وقال لليهود الذين قاوموه دائماً بغير حق " لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم . ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم " (يوحنا 8 : 39 - 40) .

وقال أيضا مشيراً إلى مقاوميه " لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد (إنسان - حسب الترجمة الإنجليزية) غيري ، لم تكن لهم خطية . وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي " (يوحنا 15 : 24) .

لم يكن هناك تعارض في ذهن الرب يسوع بين إدراكه للاهوته السماوي وإدراكه لبشريته . وحالما ندرك هذه الحقيقة، نستطيع أن نفهم كيف استطاع يسوع أن يقول " ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء " (يوحنا 3 : 13) .

وما قولكم " إن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً ؟ " (يوحنا 6 : 62) .

ومما يثير الانتباه حقاً ، إستخدام الرب يسوع للقب " ابن الإنسان " في الأعداد السابقة ، وفي ثمانين مرة أخرى مسجَّلة في الأناجيل الأربعة . كان لقبه المفضَّل حين أشار إلى نفسه ، ولكنه نادراً ما أُستخدم بواسطة الآخرين في الكلام عنه . وقتما تفكَّر في نفسه ، ذكر أنه " ابن الإنسان " . قال عن نفسه " ابن الإنسان هو رب السبت أيضا " (متى 12 : 8) . أيضاً قال " ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا 19 : 10) . فاستخدام يسوع لهذا اللقب يترك فينا انطباعاً فريداً حول إدراكه لذاته ، ويظهر لنا ما كان يدور بذهنه حين كان شخصه المبارك هو محور أفكاره .

لقد دارت مناقشات كثيرة وغنية حول السبب الذي دعا المسيح لاستخدام هذا اللقب عن نفسه . فمن الواضح أنه كان مفعماً بالمعاني بالنسبة له . يظن البعض أنه اختار هذا اللقب من سفر دانيال في العهد القديم ، حيث عُبِّر عن ملكوت الله في صورة تصويرية عن " مِثْل ابن إنسان " (دانيال 7 : 13) . فإن كان هذا صحيحاً ، فأغلب الظن أن يسوع اختار هذا اللقب ؛ ليُظهر أنه المسِّيا الذي تحدث العهد القديم عنه ، وليس المسِّيا الذي توقعه فكر العامة من اليهود . فلو أنه استخدم لفظ " المسيِّا " في الكلام عن نفسه ، فربما ينعش ذلك آمالهم ويحرِّكها في طريق خطأ ، إذ أنهم أوَّلوا هذا اللقب بحسب تفسيرهم . وقد تحاشى المسيح هذا الخطر تماماً باستخدامه للقب غير معتاد " ابن الإنسان"، وكان عليهم أن ينصتوا له جيداً لتعريفه هو عن دوره .

ولم يكن دانيال وحده في العهد القديم الذي استخدم هذا التعبير . فهو موجود في (مزمور 8 : 4) ، (مزمور 146 : 3)، ومراراً كثيرة في نبوءة حزقيال ، حيث يدعو الله النبي " ابن الإنسان " المرة بعد الأخرى . ويبدو أن الغرض من ذلك هو وضع حزقيال في مكانه الحقيقي أمام جلال الله ، إذ يبدو النبي في مكانة متواضعة بالمقارنة ببهاء الله . فلابد أن يدرك ضآلته وضعفه حين يجابه الله القدوس . فإذا كان يسوع قد استخدم هذا الاصطلاح عن نفسه بهذا المفهوم ، فذلك لأنه قضى حياته فيما بيننا مدركاً للمجد الذي أتى منه ، وبالمثل تماماً مدركاً لتواضع وضآلة الحالة التي جاء خصيصاً ليحياها هنا . من الممكن أن يسوع كان له في ذهنه كلا الوعيين عن لقبه . فكان مدركا أنه الملك في ملكوت الله ، وأن ذلك الملكوت سوف يؤسس بتواضعه وتنازله لهذه الدرجة . وأيا كان

التوازن الصحيح في هذا الحق ، فمما لاشك فيه أن لقب " ابن الإنسان " يوضح بكل دقة أن يسوع كان إنسانا حقيقياً . وأياً كان غرضه من إطلاق هذا الاسم على نفسه ، فهو كان على دراية تامة بذلك .

**** كان إنسانا بكل الوضوح :***

كان إدراك المسيح لطبيعته البشرية مصدَّقاً عليه من قِبَل كل الذين رأوه أثناء خدمته الجهارية . لقد كان إنسانا بكل الوضوح .

بادئ ذي بدء ، كانت هيئته كإنسان ، فماذا كنا نتوقع أن يكون ذاك الذي هو " ابن داود وثمرة صُلبه " ؟ إنه جاء في " شبه جسد الخطية " (رومية 8 : 3). لم تلحظ المرأة السامرية شيئاً غير عادي في مظهره الخارجي . فعلى قدر فهمها ، ها هي تتورط في محادثة مع يهودي بغيض (يوحنا 4 : 9) . لم يدل مظهره الخارجي على أي شيء ملفت للنظر ، حتى أنه كان بإمكانه التجوال في شوارع أورشليم دون أن يلاحظه أحد ، كأي رجل آخر ، إلى أن لفت الأنظار إليه حين دخل الهيكل وبدأ يعظهم بمجاهرة (يوحنا 7 : 10 - 14) .

وبسبب عدم تمييزه عمَّن حوله كان لزاما على يهوذا - الذي خانه - أن يقبِّله لئلا يقبض الحراس - الذين أتوا للقبض عليه - على شخص آخر بطريق الخطأ (متى 26 : 47 - 50) . وحتى بعد قيامته ، حسب التلميذان المسافران إلى عمواس أنه أحد مواطنيهم الذي لم يكن له دراية بالأحداث الجارية في البلاد آنذاك (لوقا 24 - 18، 19) .

ومريم ظنت أنه البستاني الذي يعتني بالأرض المحيطة بقبر سيدها (يوحنا 20 : 15) . وأولئك الذين عرفوه لسنين كثيرة، لم يلحظوا أي اختلاف بينه وبين أي رجل جليلي آخر ، يمكن أن يوجد واقفاً عند البحيرة (يوحنا 21 : 4 - 5) يجب علينا أن نستبعد أية فكرة تطرأ لنا ؛ بأن وجه الرب يسوع كان يلمع ، أو كان محاطاً بهالة من النور . وحتى بعد قيامته لم يكن هناك شيء غير عادي أو غير بشري في المظهر الجسدي ليسوع الناصري .

ونحن هنا نؤكد أن تجسد المسيح لم يكن مسألة المظهر فقط . فقد أظهرت الأناجيل بالتفصيل ، أن الخبرات العامة التي كانت لكل الناس ، رجال ونساء ، كانت له أيضا . فقد جاع كأي شخص آخر (متى 4 : 2 ، مرقس 11 : 12 ، متى 21 : 18) . لكن الله لا يجوع (مزمور 50 : 12) . وعطش أيضا (يوحنا 4: 7 ، 19 : 28) وهذا الشاهد الأخير كان تحقيقاً لما سُطِّر في مزمور 69 : 21) . اختبر أيضا التعب (يوحنا 4 : 6) ، مع أن الله لا يكلُّ ولا يعيا (اشعياء 40 : 28) . راح في نوم عميق (متى 8 : 24) ، لكن الله لا ينعس ولا ينام (مزمور 121 : 4) . في كل هذا عمل ما يعمله الناس العاديون ، ولكن الله لا يفعله قط . من الواضح أنه كان يحمل طبيعة أخرى بالاضافة إلى طبيعته الإلهية التي سبق وتحدثنا عنها تلك الطبيعة الأخرى كانت طبيعة بشرية .

لقد سمع التلاميذ يسوع يتكلم عن جسده في بعض المناسبات (مثلا في لوقا 7 : 44 - 46) . تكلم مسبقاً عن دفنه (مرقس 14 : 8، متى26 : 12). وقد اتكأ يوحنا على ذلك الجسد في العشاء الأخير (يوحنا 13 : 23) ، حين تكلم يسوع عنه مرة ثانية في (متى 26 : 26) .

لم يكن هناك شيٌ غير حقيقي في طبيعة الرب البشرية ، ذاك الذي اتكأوا معه على مائدة واحدة في تلك الليلة ، لقد رأوه وهو يأكل ويشرب في مناسبات أخرى (متى 9 : 10 - 13 ، 11 : 19) ، كما قضوا تلك الليلة الحزينة وهم يلاحظونه وهو يفعل ذلك ، عندما كسر الخبز وقدم الخمر لهم ، كرمز لما كان عتيداً أن يحدث له .

وفي خلال ساعات رأوه وهو يتألم . لقد ذاق الألم والمعاناة طيلة حياته ، ولكن ما شاهدوه عندئذ كان ذروة آلامه . لقد اختبر هجوم الشيطان المتكرر عليه، أيضا عرف كراهية شعبه وعدم إيمانهم ، كذلك اضطهاد أعدائه . ولكن ها آلامه تصل إلى أقصاها . لم يكن طيفاً أو خيالاً ذاك الذي " سُحِق بالحَزَن " والذي " صار عرقه كقطرات دم نازلةً على الأرض " (لوقا 22 : 44) . لم يكن طيفاً أو خيالاً ذاك الذي " كُمِّلَ بالآلام " والذي " تعلَّم الطاعة مما تألَّم به " (عبرانيين 2 : 10 ، 5 : 8) . لم يكن طيفاً أو خيالاً ذاك الذي " تألَّم لأجلنا بالجسد " ، والذي كان " مُماتاً في الجسد " (1بطرس 4 : 1 ، 3 : 18) . كان جسده حقيقياً ، فليس عجباً أن يعرضه بيلاطس أمام الجموع صارخاً " هوذا الإنسان

! " (يوحنا 19 : 5) .

وهكذا مات يسوع المسيح في النهاية - مع أن الله لا يموت . نكس رأسه وأسلم الروح (يوحنا 19 : 30) . أطاع حتى الموت ، موت الصليب (فيلبي 2 : 8) . وبعد ذلك بقليل ، وحتى يتيقن الجنود من موته ، طعنوه بحربة في جنبه . ورأى يوحنا بعينَّي رأسه الدم والماء وهما يتدفقان من الجرح الناتج عن ذلك (يوحنا 19 : 32 - 35) .

بعد ذلك بقليل أخذ نيقوديموس ويوسف الرامي الجسد ، ولفوه في أكفان معطرة باطياب ؛ ومزيج مر وعود (يوحنا 19 : 38 - 42) . ووضع - بعدئذ - في قبر محفور في الصخر مملوك ليوسف الرامي ، وظل هناك حتى قيامته في صباح الأحد المجيد .

لقد ملأ اليأس التلاميذ . فالرب يسوع المسيح كان إنساناً بكل وضوح ، حتى أنه لما مات حزنوا جداً ؛ لأنه لم يعد معهم كما كان من قبل . ولما لم تجد مريم الجسد في القبر ، حزنت جداً لأنهم " أخذوا سيدي ، ولست أعلم أين وضعوه! " (يوحنا 20 : 13) . فبالنسبة لها كان هو الجسد ! وسواء مريم أو التلاميذ كلهم كانوا سيسخرون من فكرة أن جسده كان مختلفاً عن أي جسد آخر بأي شكل من الأشكال ، أو أنه كان مجرد ظهور فقط بطريقة بدون جسد مادي حقيقي. فيسوع كان إنسانا تاما ، وهم عرفوا ذلك يقيناً. ولما فقد جسده الحياة ، ظنوا أنهم فقدوه . ولما فُقد الجسد ، لم يستطيعوا أن يكبحوا جماح حزنهم . فكل ما عرفوه عنه كان في ذلك الجسد .

وكم كان فرحهم عظيماً عندما أعادت لهم القيامة سيدهم ! لقد ظهر لهم بجسده كما تعوَّدوه من قبل . لقد سمعوه يتكلم عن نفسه كمن له " لحم وعظام " (لوقا 24 : 39) . لقد لمسوه (يوحنا 20 : 17) ، وجسُّوه (لوقا 24 : 39) ، وفحصوا جروحه (لوقا 24 : 39 ، يوحنا 20 : 27) ، ورأوه وهو يعد طعاماً (يوحنا 21 : 9 - 14) ، كما رأوه وهو يأكل (لوقا 24 : 43) . لقد هزم الموت. ولكن ذاك الذي هزم الموت كان واضحاً انه إنسان .

**** ليس جسداً فحسب :***

كان جزءاً جوهرياً من خطة الله أن يكون لربنا جسد بشري حقيقي " هيأت لي

جسداً " (عبرانيين 10 : 5) . ولكن اتخاذه جسدا يمثل جزءاً فقط من المقصود بكونه إنسانا حقيقيا ، فهناك جانب خفي من الطبيعة البشرية . فهل اتخذ ابن الله الأزلي مجّرد تركيب جزيئي لإطار بشري ، أم كان إنساناً متكاملاً من جسد ونفس ؟ هل كان تجسده جزئياً فقط أم كليا ؟

إن إجابة الكتاب المقدس واضحة ، فلم يكن لربنا مجرد جسد بشري فحسب ، بل كانت له طبيعة بشرية كاملة . فبالاضافة إلى جسده المادي كان هناك الجانب الخفي من هيئته البشرية . كانت له نفس ، كانت له نفس بشرية.

والبرهان القاطع على هذا الكلام هو موته . فكان الموت له مثل أي إنسان آخر ، أي انفصال الروح عن الجسد . لقد اسلم روحه لعناية أبيه ، وفي التو واللحظة كان جسده مائتاً ومعلقاً على الصليب (لوقا 23 : 46) .

كما أظهر هذا الحدث أن جسم بشريته كان يحوي العنصرين اللذين يكوّنان الجسم البشري الحقيقي .

ولكن ليس لزاماً علينا أن ننتظر حتى نقرأ عن موت سيدنا ؛ لندرك أنه كان يملك نفساً بشريةً . فقد تكلم عن نفسه في مناسبات عديدة ، وبالأخص عن الحزن الذي جاز في نفسه ، خاصة حين تفكَّر في الصليب وتأمَّل في مأساة الخيانة المحققَّة التي سيواجهها . هناك دلائل كثيرة في الشواهد التالية تؤكد لهفة المسيح واشتياقه إلى التعاطف البشري معه ، ومن الصعب أن تجد برهاناً قاطعاً أقوى من ذلك على وجود نفس بشرية حقيقية (انظر يوحنا 12 : 27 ، 13 : 21 ، متى 26 : 38 ، مرقس 14 : 34 ، لوقا 22 : 44 ، انظر أيضا يوحنا 15 : 14 - 15) .

ونتيجة لامتلاكه روحاً بشرية ، كان لربنا إرادة بشرية ، فكيف إذن كان بمقدوره أن يصلي قائلاً " يا أبتاه ، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ، لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت " ؟ (متى 26 : 39) . ولم تكن إرادته البشرية متعارضة مع الإرادة الإلهية على الإطلاق ، ولكنها كانت منفصلة عنها ، كما توضح لنا الآية السابقة بصورة قاطعة .

وقد وضحت حقيقة أن تجسد ربنا لم ينحصر في مجرد مشابهة مادية فقط ، منذ بداية روايات كاتبي البشائر . فيسجل لوقا البشير عن الصبي الذي نشأ وترعرع في الناصرة أنه " كان ينمو ويتقوى بالروح ، ممتلئاً حكمة " (لوقا 2 : 40) . وعند بداية الصبا " كان يتقدمَّ في الحكمة والقامة " (لوقا 2 : 52) . فإلي جانب نموه الجسدي ، كانت شخصيته تنمو أيضا ، فاكتسب معرفته من خلال القنوات العادية والمتاحة للصبية أقرانه في تلك الأيام . وخضع ليوسف ومريم ، ولمعلميه ، ودَرَسَ وتأمل . وفي ذات الوقت ، وضحت مقوماته الشخصية الداخلية أكثر فأكثر ، كذلك حكمته بطريقة ملفتة للنظر ، حكمته التي إزدادت كل يوم . ومع أنه الله العالم بكل شيء ، إلا أن ربنا الإنسان تعرَّض للمحدودية البشرية ، واجتاز طواعية في عملية النمو البشري الطبيعي ، وكان يُرى وهو ينمو ويكبر . ومع أنه من الصعب إدراك هذه الحقيقة ، إلاَّ أنها حقيقة سجَّلها الوحي . ولم تتوقف هذه العملية طيلة حياته، وحتى بعد اكتمال نموه ، وكإنسان لم يكن على علم ببعض الأمور (اقرأ مرقس 13 : 32) . كل خبرة في حياته قادته إلى بُعد جديد في الطاعة (عبرانيين 5 : 8) ، وأهَّلته تماماً ليكون رئيس خلاصنا (عبرانيين 2 : 10) . لا يمكن ان يكون كل هذا واقعا ما لم يكن إنساناً حقيقياً . ولا يمكن أن يكون كل هذا حقيقة لو لم يكن له نفس وروح .

ونرى برهانا آخر لوجود " نفس " لدى ربنا في حقيقة وجود حياة ذات مشاعر إنسانية . فعرف معنى أن يكون مسروراً، و" تهلَّل بالروح" حين رأى أن الله أظهر نفسه لأولئك المحتقرين من العالم (لوقا 10 : 21) . وعرف أيضا كيف يذرف الدموع ، فقد بكى خارج قبر لعازر بروح بشرية حزينة (يوحنا 11 : 33 - 36) . وكانت الدموع والصراخ العنيف جزءاً من خبرته البشرية، حين تفكَّر في المذبحة المروِّعة والمؤكَّدة لسكان أورشليم قساة الرقاب والقلوب (عبرانيين 5 : 7 ، لوقا 19 : 41 - 44) .

امتلأ قلب ربنا بالحنان في عدة مناسبات (متى 9 : 36) ، وأظهرت نفسه البشرية نفسها في مشاعر التعاطف والمواساة . وفي مواقف أخرى حزن وغضب (مرقس 3 : 5 ، 10 : 14) . لقد اختبر أن تكون له عاطفة خاصة تجاه بعض الناس (مرقس 10 : 21) ، ولا يوجد برهان على ذلك أقوى من حقيقة سعادته الخاصة بالوجود في أحد المنازل

الصغيرة في بيت عنيا (يوحنا 11 : 5). وأكثر الخبرات البشرية لربنا ، كانت تعرُّضه للتجربة (متى 4 : 1 - 11) . لم يُستثنى آدم الأخير مما اختبره آدم الأول ، إلا أن الفارق الكبير بينهما أن الثاني لم يستسلم للتجربة (عبرانيين 4 : 15) . وعلينا أن نلاحظ أنه لو لم يكن لربنا روح بشرية حقيقية، لكان من المستحيل أن يُجرَّب . فالله لا يمكن أن يُجرَّب (يعقوب 1: 13) . فلا يمكن لمجرد جسد يتخذه اللاهوت أن يجتاز مثل هذه الخبرة . ولم يكن ممكنا للشيطان أن يقترب إليه بهذه الطريقة لو لم يكن لربنا جسدٌ ونفسٌ كأي إنسان .

وكيف أمكن لروح ربنا البشرية أن تثبت في أوقات التجربة هذه وفي غيرها من شدائد حياته ؟ يؤكد كتَّاب البشائر أن خدمته كانسان ؛ لم تكن لتتم إلا بتعضيد قوة الروح القدس (انظر لوقا 10 : 21 ، عبرانيين 9 : 14) . وقد نال هذا التعضيد لحياته الروحية بالصلاة والشركة مع أبيه . كان محتاجاً للصلاة كحاجتنا نحن إليها (مرقس 1 : 35) ، وقد خصص أوقاتاً لها حين دعت الحاجة إلى إرشاد خاص (مثال : لوقا 5 : 16 ، 6 : 12 ، 9 : 18 ، 28) . هل كان يسوع بحاجة إلى الصلاة لو لم يكن له روح ونفس بشريتان مثلنا تماماً ؟ وفي الحقيقة ، لو أنه كان مجرد إطار بشري خال من روح بشرية ، ويسكنه اللاهوت فقط، هل كان في إمكانه أن يصلي ؟ أليست الصلاة علاقة بين روح بشرية والله الذي هو روح ؟ لو لم يكن هناك روح للمسيح منفصلة عن روح الله ، لكانت الصلاة مستحيلة بالنسبة له .

إذن فربنا كان إنسانا من كل الوجوه . فلا عجب أن يصفه بذلك كُتَّاب العهد الجديد بغير تردد أو استحياء . فقد أعلنوها مرة ومرات بدون أية محاولة منهم أن يصرفوا الانتباه عنها .

لقد تكلَّم بطرس عن المسيح في يوم الخمسين على أنه " رجل قد تبرهن لكم من الله " (أعمال 2 : 22) . وفي انطاكية أعلن بولس لليهود عن المسيح " أنه بهذا يُنادَى لكم بغفران الخطايا " (أعمال 13 : 38) .

ويؤكد لعلماء أثينا المستهزئين ، أن الله " أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد عيَّنه " (أعمال 17 : 31) . ويقدم لمؤمني كورنثوس التعليم أنه : ...

بإنسان أيضا قيامة الأموات " (1كورنثوس 15 : 21) ، بينما يُشار إلى المسيح في أماكن أخرى ببساطة على أنه " (حسب الترجمة الإنجليزية) " هذا الإنسان " (عبرانيين 8 : 3 ، 10 : 10 - 12). كانت طبيعة الرب يسوع المسيح البشرية جزءاً لا يتجزأ من رسالة الإنجيل التي أُعلنت بواسطة الرسل .

في ضوء ما عرفنا ، لابد أن نفهم الشواهد التي تتكلم عن مجيء المسيح في الجسد ، على أنها لم تعن مجرد اتخاذه جسداً بشرياً فحسب ، بل أيضا طبيعة بشرية متكاملة . وهذا هو السر الأساسي للتجسد . " الكلمة صار جسداً" (يوحنا 1 : 14) ، " الله ظهر في الجسد " (1تيموثاوس 3 : 16) ، " يسوع المسيح جاء في الجسد " (1يوحنا 4 : 2) ، " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما " (عبرانيين 2 : 14) .

أي إنكار لهذا الحق هو هرطقة . ذلك لأنه لو لم يأخذ ابن الله لنفسه جسداً بشرياً حقيقيا ، فلا خلاص لنا ، وليست لنا بشارة لنبشر بها . وسوف نعود مرة أخرى لتلك النقطة ، ولكن لابد من تقريرها الآن . فأولئك الذين ينكرون حقيقة تجسد الرب يسوع ؛ هم أعداء للإنجيل تماماً كمن ينكرون لاهوته.

وقد اهتم العهد الجديد بإبراز هذه النقطة (انظر : 1يوحنا 2 : 22 - 25، 4 : 1- 6 ، 5 : 5 - 12 ، 2يوحنا 7 ، 9 - 11). " كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد ، فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي ، والآن هو في العالم " . (1يوحنا 4 : 3) .

**** إنسان بلا خطية :***

عندما نقول أنه كانت للمسيح طبيعة بشرية متكاملة ، لا يجب أن تنزلق أذهاننا إلى خطأ الظن ؛ بأنه كان يمتلك أيضا طبيعة خاطئة . صحيح أنه جاء " في شبه جسد الخطية " (رومية 8 : 3)، وكان بيننا بهذه الطبيعة التي هي خاطئة في كل الحالات الأخرى ، لكنه كان بلا خطية .

فالطبيعة البشرية والطبيعة الخاطئة ليسا وجهين لعملة واحدة ، إذ أن الخطية ليست

عنصراً أساسياً في الطبيعة البشرية ، بل هي دخيلة عليها . فقد خلق الله آدم بلا خطية ، وكذلك حواء أيضا . كان كلاهما إنسانين متكاملين ، لكنهما أصبحا خطاة فيما بعد . وحين جاء المسيح كآدم الأخير ، جاء بطبيعة بشرية حقيقية وكاملة مثلما كانت لآدم الأول . لكنه كان - وظل أيضا - بلا خطية . ولا يعني ذلك فقط أنه كان قادراً على تحاشي الخطية وأنه فعل ذلك ، بل تعني أيضا أنه كان من المستحيل أن يخطئ بسبب الرابطة الجوهرية بين طبيعتيه البشرية واللاهوتية - وهذا ما سنبينه لاحقاً .

على أية حال ، لم تكن قداسة المسيح مجرد حالة متعادلة (neutral) من الطهارة ، كما كانت في آدم الأول . فالعهد الجديد يحدثنا عنه كشريك كامل لنا في كل خبراتنا ، وبصفة خاصة في مجال التجربة ، حيث استطاع دائماً أن يقهرها . فالتجربة لا تكون تجربة إذا لم تتضمن الجهاد ضد غواية الخطية وإغراءاتها . إنها تستلزم مقاومة هذه الإغراءات . وعندما نقرأ عن الرب يسوع أنه " كان مجرباً في كل شيء مثلنا ، بلا خطية " نستطيع أن ندرك أنه بالرغم من حقيقة وقوة إغراءات الخطية ، إلا أنه خرج منها طاهراً بلا عيب أو دنس (عبرانيين 4 : 15) .

فقداسة المسيح وطهارته ما برحت أن تنكر على مر الأزمنة - وحتى يومنا هذا - من أشخاص وطوائف مختلفة . فالجدل السائد هو استحالة وجود مثل هذه الحياة الكاملة للمسيح ، والتي وُصفت في الأناجيل الأربعة . وإلى جانب ذلك ، قيل أيضا كيف ندَّعي القداسة لشخص ظلّت حياته مجهولة حتى سن الثلاثين؟ وهؤلاء المعترضون نحن نوجِّه أنظارهم للاهوت المسيح ، الذي نستند إليه في قضيتنا. ونذكرهم بأن كل الذين كانوا على صلة وثيقة به ، وكانوا الأقرب لمعرفته ، أكَّدوا قداسته وطهارته .

ونحن نعلن هنا أن حياته خلال خدمته الجهارية التي امتدت إلى ثلاثة أعوام ونصف العام ، كانت مطابقة تماماً لهذا الإعلان ، بأنه كان بلا خطية طيلة حياته ، ولو لم نسلم بهذا لكانت هذه الخدمة بلا معنى .

لقد وُصِفَ ربنا يسوع المسيح رئيس كهنتنا بأنه " قدوس بلا شر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة " (عبرانيين 7 : 26) . وهذا إعلان مذهل ، إذ أن القداسة هي الصفة

المنطقية لله والتي تميزه عن خلائقه . وتعلمنا عبارات أخرى أن يسوع كان باراً ، نقياً ، خال من كل دنس أو فساد أخلاقي ، ولم يحسب ضمن الخطاة ، إذ كان منفصلا عنهم .

وتعرفنا تصريحات أخرى واضحة أنه " ليس فيه خطية " (1يوحنا 3 : 5) ، " الذي لم يفعل خطية " (1بطرس 2 : 22) ، وأنه " لم يعرف خطية " (2كورنثوس 5 : 21) . كان " بلا عيب ولا دنس " (1بطرس 1 : 19) .

صدرت هذه التصريحات من أناس عاشوا ملازمين للرب يسوع أكثر من ثلاثة أعوام ، ولم يروه فقط في العلن بل أيضا فيما نطلق عليها " الحياة الخاصة التلقائية " " unguarded moments" . ليس ذلك فقط ، لكنهم كانوا من اليهود الذين انغمسوا حتى إخمص اقدامهم ؛ في تعاليم العهد القديم ؛ التي تعلن صراحةً أنه ؛ ليس أحد بلا خطية سوى يهوه . فلم يكن من السهولة بمكان أن ينسبوا الطهارة إلى إنسان رفيق لهم .

وجاءت تعليقاتهم الخاصة بطهارة المسيح وقداسته أكثر إقناعاً ، إذ أنها سُجلت بتلقائية وما بين السطور ، حين كانوا يكتبون عن موضوعات أخرى ، فلم يجتهدوا ويجاهدوا لإيضاح هذا المعنى . وكان كل فكرهم عن حياة المسيح انها كانت حياة على هذه الأرض لكنها مقدسة وطاهرة تماماً مثل حياة الله في السماء .

صحيح أن الله جعل المسيح ، بحكم القضاء ، خطية على الصليب إذ "جعل الذي لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا " (2كورنثوس 5 : 21) . لكنها حقيقة أيضا أنه " قدم نفسه لله بلا عيب " (عبرانيين 9 : 14) لقد حُسِبَتْ خطايانا عليه حين مات عنا . لقد كان في حياته وفي شخصه خالياً من كل الدنس الذي يرثه كل الرجال والنساء من والديهم ، وكان هذا بفضل قوة الروح القدس المُطهِّرة - كما رأينا - والتي أكَّدت أن من حملته مريم في أحشائها ثم ولدته إنما هو " قدوس " . إنه لم يأت إلى العالم بطبيعة خاطئة ، ولم يرتكب إثماً في حياته . لقد شهد كوكبنا هذا وجود إنسان بلا خطية وسط أناس خطاة . حتى أعداء المسيح (وما أكثرهم !) لم يتمكنوا من إدانته بخطأ ما . فلم يجد من يجيبه عندما تحداهم قائلاً " من منكم يبكّتني على خطية ؟) (يوحنا 8 : 46) . ومن حين لآخر ، كان أعداؤه يتهمونه باتهامات طائشة ، وفي النهاية عندما ساقوه للمحاكمة كان يجب أن يتهموه

باتهامات سياسية ، واضطروا إلى رشوة الشهود . حتى الجحيم ذاتها لم تجد أي خطأ في يسوع الناصري ، فعندما صرخت الأرواح الشريرة في حضرته كانت تشهد أنه " قدوس الله " (مرقس 1 : 24) . واستطاع الرب يسوع أن يعلن قبيل القبض عليه " رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء " (يوحنا 14 : 30) .

لم يعترف الرب يسوع بخطية ما ، ولم يشارك تلاميذه في الصلاة القائلة " واغفر لنا خطايانا " (لوقا 11 : 4) . لم يساوره للحظة شعورٌ بالذنب . ومع أنه كان لديه المقدرة على التمييز الثاقب لرياء الآخرين ونفاقهم ، إلا أنه لم يدن نفسه على خطأ ما. لقد طالب بضرورة التوبة ، لكنه أبداً لم يكن يوماً في موقف التائب. لم يُظهر بتاتا أيةً إشارة بأنه قصَّر في معاييره الدقيقة . وعادةً فإنه كلما ازداد بر شخص ما ، ازداد قلقه على استمرار نقائصه . ولكن يسوع لم يكن هكذا . فقد كان بلا خطية . وبسبب هذا يصفه الكتاب المقدس بأنه الشخص الذي تحقق فيه الإنسان المثالي (انظر عبرانيين 2 : 8 - 9 ، 1كورنثوس 15 : 45 ، 2كورنثوس 3 : 18 ، فيلبي 3 : 21) . ويعتقد بعض الدارسين أن لقب " ابن الإنسان " - الذي تكلمنا عنه فيما سبق - لهو إشارة أخرى بأنه حقق النموذج الكامل للبشرية .

لكن ، هل كان من الممكن للمسيح أن يخطئ ؟ لقد دار جدل كثير حول هذه النقطة ، ليس في الماضي فحسب ، بل في حاضرنا أيضا . مع أنه كان يجب ألا يوجد أي جدل على الإطلاق . فلا يجب أن ننسى أبداً أن يسوع كان - وسوف يظل - الله الإنسان ، الذي فيه اتحدت الطبيعتان اللاهوتية والبشرية بلا إمتزاج.

ومع أنه لا يمكن أن ننسب شيئا من خصائص إحدى الطبيعتين إلى الأخرى ، إلا أنه يمكننا أن ننسب ما يتم بواسطة أي من الطبيعتين إلى شخص ربنا يسوع المسيح . فلو أنه قد أخطأ ، إذن فيمكن القول بأن ابن الله قد أخطأ، وهذا ما لا يمكن قبوله أو التفكير فيه . وسوف نتطرق لاحقا إلى الحديث عن العلاقة بين الطبيعتين في الشخص الواحد .

كل هذا لا يعني أن تعرُّض ربنا للتجربة لم يكن حقيقياً . فيمكن لصخور البحار أن تقاوم ضربات العاصفة إلى حين ، لكنها تُكتسح في نهاية الأمر . أما صخور الجرانيت ،

التي لا يمكن أن تكتسح ، فإنها تحتمل قوة الضربات التي لا يمكن للصخور البحرية العادية أن تختبرها . وهكذا أيضا فلأن ربنا يسوع المسيح لا يمكنه أن يخطئ ، لذلك تحمَّل وطأة التجربة التي لا يمكن لأي من أفراد الجنس البشري أن يختبرها أو يعرفها . ولشدة وقسوة التجربة عليه ، جعلته قادراً على تقديم العون المناسب الذي نحتاجه نحن حينما نقع في تجربة (عبرانيين 4 : 14 - 16) .

لكن هناك نقطة أخرى . فلو كان المسيح قد أخطأ إبان وجوده على الأرض ، لكان من الممكن أن يخطئ الآن . أليس " هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ؟ " (عبرانيين 13 : 8) . أيمكن لخلاصنا الأبدي أن يؤسس على مثل هذا الأساس المزعزع الواهي ؟

**** الحاجة الملحّة لتجسده :***

لقد تأسس خلاصنا على تجسد المسيح الحقيقي المنزه عن الخطية . فالإنسان هو الذي أخطأ ، وكان لابد لإنسان أن يدفع جزاء السقوط في الخطية. ويشمل الجزاء معاناة الجسد والنفس معاً ، هذه المعاناة التي لا يتحملها سوى إنسان واحد (انظر ثانية يوحنا 12 : 27 ، أعمال 3 : 18 ، عبرانيين 2 : 14 ، 9 : 22) . وحيث أن هذا الجزاء يشمل أيضا المعاناة في هذه الحياة ، لذا كان ضرورياً أن يتخذ المسيح جسماً بشرياً ، ليس فقط بمكوناته ، ولكن أيضا في ضعفاته ، ومحدوديته ، ووهنه الذي تعرض له منذ السقوط . لهذا تعرَّض المسيح لمحدودية البشر في المعرفة ، واختبر الجوع والعطش ، كما اجتاز أيضا الحزن والألم . بهذا نزل المسيح إلى أعماق الخزي التي سقط إليها الجنس البشري (عبرانيين 2 : 17 : 18) .

ولكن في نفس الوقت كان لابد أن يكون إنسانا بلا خطية . فلا يستطيع إنسان كان خاطئا أن يكفِّر عن آخرين إذا دفع حياته جزاء للخطايا (عبرانيين 7 : 26) . فلا يمكن إلا لوسيط بشري حقيقي ، اختبر كل ضعفات الجنس البشري - إلا انه لم يستسلم لتجربة ما - أن يجتاز طواعية في مصاعب ومحن وتجارب الإنسان .

والرب يسوع المسيح هو هذا الوسيط المثالي (عبرانيين 2 : 17 - 18، 4 : 15 ، 5 : 2) . ليس ذلك فحسب ، بل إنه مثال بشري كامل لنا ؛ كي نقتفي إثره (متى 11 : 29 ،

يوحنا 13 : 13 - 17 ، فيلبي 2 : 4 - 8 ، عبرانيين 12: 1 - 3 ، 1بطرس 1 : 21) .